ISSN: 2253-0347
مجلـــة علوم الإنسان والمجتمع
Journal of Human and Society sciences
EISSN: 2602-781X
المجلد: 11 / العدد: 01 / السنة: 2022 / ص ص: 329- 349

أدوات البحث السوسيولوجي المناسبة للدراسات الوصفية الكيفية– مرجعية انتقاءها وأساليب توظيفها

The appropriate sociological research tools for qualitative descriptive studies - a reference for their selection and methods of employment

تاريخ الإرسال: 2022 /01/01 تاريخ القبول: 18 /03/ 2022 تاريخ النشر: 2022 /03/28

فيروز صولة

جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، *Email* : fairouz.saoula@univ-tebessa.dz

الملخص:

تعتبر الدراسات الوصفية الكيفية من بين أكثر الدراسات رواجا في المجال الأكاديمي للطلبة المقبلين على التخرج بشكل خاص، وكثيرا ما يفضل أغلب الباحثين الاستبيان كأداة رئيسية دون غيرها، من خلال هذه الورقة البحثية التي طبقت على عينة من الدراسات الأكاديمية في تخصص علم الاجتماع أردنا أن نوضح أهم الأدوات التي تناسب الدراسات الوصفية الكيفية وأهمها: المقابلة ، والملاحظة، دراسة الحالة، تحليل المضمون، تحليل الوثائق والسجلات، الاستعانة بالإخباريين، حيث توفر هذه الأدوات المعلومات بشكل أدق ومصداقية أكثر في حال استخدامها بالشكل المنهجي المنظم.

الكلمات المفتاحية: تقنيات البحث؛ الاستمارة؛ المقابلة؛ دراسة الحالة؛ الملاحظة؛ الوثائق والسجلات؛ تحليل المضمون.

المؤلف المرسل: فيروز صولة، *Email* : fairouz.saoula@univ-tebessa.dz

Abstract:

Descriptive qualitative studies are among the most popular studies in the academic field for students who are going to graduate in particular, and most researchers often prefer the questionnaire as a main tool. Through this research paper, which was applied to a sample of academic studies in the field of sociology, we wanted to clarify the most important tools that suit qualitative descriptive studies, the most important of which are: interview, observation, case study, content analysis, document and record analysis, and the use of newsmen, as these tools provide information More precisely and more credibly if used in a systematic and organized manner

Keywords: research techniques; questionnaire; interview; case study; observation; records and documents; content analysis.

مقدمة:

البحث العلمي هو مجموعة من القواعد المنظمة والممنهجة من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية، وحتى تكون هذه القواعد ممنهجة يجب أن ترتكز على عمليات عقلية نحدد من خلالها مجموعة العمليات التي تساعدنا في الوصول إلى المعلومات التي تخص البحث.

وتعتبر البحوث الاجتماعية سوسيولوجية كانت أو نفسية أو أنثروبولوجية ... نماذج من للبحث العلمي يعتمد هو الآخر على مناهج وعمليات علمية، من خلالها يمكن التوصل لأهداف البحث المسطرة.

وتختلف ممارسات البحث العلمي الاجتماعي بين ما هو أكاديمي وما هو غير ذلك، وسنتحدث في هذا الموضوع عن البحوث الأكاديمية بالذات باعتبارها أكثر البحوث تداولا بين الفئات المتعلمة، حيث نتطرق في هذه الورقة البحثية عن تطور الاهتمام بأدوات البحث الاجتماعي، ثم نعرض أهم ادوات البحوث الاجتماعية تداولا في الحقل الأكاديمي وتحليل كل منها على حدى من حيث التعريف والأهمية وسلبياتها ومدى ممارستها في البحوث الأكاديمية للطلبة بين متطلبات الموضوع ورغبة الطلبة في اختيارها .

اشكالية البحث:

كثيرا ما نجد باحثين في مجال العلوم الاجتماعية يصبون اهتمامهم الأول حين اختيار موضوعات البحث الأكاديمي سواء كانت بحوث تخرج أو غيرها على اختيار الموضوع أكثر من أي شيء آخر، نعم هي خطوة مهمة وصعبة للغاية؟ لكن الأهم من ذلك أن يكون اختيار المواضيع مقترن بشكل أساسي بإمكانية البحث حول ذات الموضوع، من خلال مجموعة من الشروط يجب أن تتوفر في الباحث وفي الموضوع وطرق معالجته.

ولعل أهم شيء يُمكن الباحث من سهولة دراسة الموضوع وامكانياته هو تحكم الباحث في كل الاجراءات المنهجية، ونقصد بها العمليات التقنية التي تساعده في الوصول للحقيقة معلومات أو البيانات (المنهج والأدوات)، وبغض النظر على الغوص في أهمية المنهج وكيفية اختياره، سنتحدث عن إجراء مهم جدا بعد اختيار المنهج ألا وهو اختيار أدوات البحث المناسبة، واختيارنا هذا كما سبق وذكرت كان انطلاقا من أن الدراسة تخص البحوث الأكاديمية وغالبا ما تعتمد البحوث الأكاديمية على المنهج الوصفي التفسيري وأخص بالذكر هنا البحوث السوسيولوجية في جانبها الأكاديمي.

حيث نلاحظ في الكثير من الأحيان إن لم تكن أغلبها اعتماد الطلبة الباحثين على أداة أساسية ألا وهي الاستمارة أو الاستبيان كأداة رئيسة في البحث، وعليه نطرح

التساؤل التالي : لماذا يفضل أغلب الباحثين هذه الأداة، على الرغم من تنوع أدوات البحث السوسيولوجي وصلاحيتها في العديد من المواضع وبمختلف التخصصات؟

أهمية الدراسة والهدف منها:

تكمن أهمية الدراسة في توضيح أهم الإجراءات المنهجية التي تساعد الطالب في الحصول على المعلومات المناسبة للدراسات الوصفية الكمية، حيث يعتبر الاختيار المناسب للأدات بمثابة انطلاقة متينة وصلبة في اعتماد المعلومات والبيانات ومن ثم مصداقية البحث والدراسة موضوعيتها.

حيث تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بأهمية الأدوات البحثية في الدراسات السوسيولوجية خاصة البحوث الأكاديمية التي يمارسها الطلبة في نشاطاتهم البيداغوجية أو كمذكرات تخرج ليسانس كانت أو ماستر أو دكتوراه...

كما تهدف هذه الدراسة إلى طرح بعض الممارسات الخاطئة التي يمارسها بعض الطلبة في اختيارهم للأدوات البحث دون مراعاة أثرها السلبي على البيانات الصائبة، أو اهمال بعض الأدوات التي يكون اختيارها مهما في البحث السوسيولوجي.

وقد اعتمدنا على عرض ست أدوات أساسية في البحوث السوسيولوجية وهي: (الاستمارة، المقابلة، الملاحظة، دراسة الحالة، تحليل الوثائق، الاخباريين، تحليل المضمون) وتبين أهمية وخصائص اختيار كل منها في البحث.

منهج الدراسة وأدواتها :

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي ومنهج الاستنباط الذي من خلاله قدمنا تحليلا لأهم الأدوات المناسبة لطبيعة المواضيع المختارة في مجال العلوم الاجتماعية.

واعتمدنا على الملاحظة بالمشاركة لعينة من مذكرات ليسانس وماستر في مختلف تخصصات علم الاجتماع من خلال ممارسة التقييم كعضو ممتحن للعديد منها.

في هذه الوقة سنطرح أهم الأدوات المستخدمة في البحوث الوصفية التحليلية والبحوث الكيفية، وأهمية الاعتماد عليها بما يتوافق وطبيعة الدراسة التي يختارها الباحث من خلال النقاط التالية:

2. أدوات البحث الاجتماعي وأهميتها في تطور البحوث السوسيولوجية:

تكمن أهمية البحوث العلمية والاجتماعية بصفة خاصة على أربعة عناصر أساسية وهي:

-**الوصف:** في نظر موريس أنجرس هو تمثيل مفصل وصادق لموضوع أو ظاهرة ما. (أنجرس، 2006، صفحة 56)

-**التصنيف:** تصنيف الظواهر وترتيبها، من خلال اختصارها واختزالها في بعض الفئات من العناصر المتشابهة والمتقاربة.

-**الفهم:** يعني الفهم اكتشاف طبيعة الظاهرة انسانية مع الأخذ بعين الاعتبار المعاني المعطاة من طرف الأشخاص المبحوثين؛ أي أن يأخذ الباحث الواقع المعيش الذي يعيشه بعض الأفراد أو فهم الظواهر كما هي، بالأحرى فهم الواقع المعيش لهؤلاء الأفراد أو الأشخاص موضوع البحث، كما يعبر عنه هؤلاء فالأمر متعلق بالمعنى الذي يعطيه المشتركون لتصرفاتهم وردود أفعالهم.

-**التفسير:** فالتفسير يمثل القلب النابض للمسعى العلمي فهو يكشف العلاقات القائمة بين الظواهر، أي تلك العلاقة التي تجعل احدى الظواهر سببا في وجود ظاهرة أخرى أو عاملا رئيسيا في ظهورها. (أنجرس، 2006، صفحة 57(

كما وتكتسي أهميتها في (التحليل، والتحكم، وحل المشكلات، والتنبؤ)؛ لكن تبقى مسألة التحكم، والتنبؤ ، محل جدل ونقاش حول امكانية تطبيقها كما هو الحال في العلوم الطبيعية في نظر العلماء والمفكرين بين مؤيد، ومعارض، ومحايد.

فالعلوم الاجتماعية منذ ظهرت أخذت مجريات عدة في تطوير المناهج وتقيات جمع البيانات وتحليلها، حيث لأدوات جمع البيانات أهمية لا تقل عن نظيراتها من اجراءات البحث الاجتماعي؛ فحسب "مادلان غراويتز": أن التقنيات ليست إلا أدوات يضعها المنهج في خدمة البحث وينظمها لتحقيق هذا الهدف.

فالعلوم الاجتماعية وعلم الاجتماع خاصة علوما تفسيرية، أي علوما تدرس المظهر العام، والمنتظم، والمتكرر للظواهر، وتستطيع في غياب تفسير القوانين أن تعمم وأحيانا أن تتنبأ، غير أن كل علم يكتسي مظهرا وصفيا، أي ينطوي على دراسة عدد من الوقعات الخاصة . (غراويتز، 1993، صفحة 14)

وقد أثيرت هذه المشكلة خاصة حين ظهر كتاب الفلاح البولوندي سنة 1919 لكل ممن توماس THOMAS وزنانيسكي Znaniecki وكانت دراستهما العلمية تأخذ العوامل والموضوعية والذاتية التي كانت تؤثر في الحياة الاجتماعية، من خلال استخدام الوثائق الشخصية التي كانت في شكل (الرسائل والسير الذاتية) باعتبارها الأداة الرئيسة للحصول على المادة الاجتماعية التي تفسر السلوك الاجتماعي، فقد كانت هذه الدراسة بمثابة القفزة التاريخية في مجال التقنيات المنهجية في البحوث السوسيولوجية، والتي كانت تلك الأدوات يقتصر استخدامها فقط في مجال علوم النفس وفروعها.

ومن ثم صرع العديد من الدارسين آن ذاك أن استخدام مثل هذه الأدوات لم يكن ممكنا فقط بل كانت أدوات ضرورية للحصول على المعلومات المطلوبة؛ بشرط توخي الاحتياطات العلمية في استخدامها. (غراويتز، 1993، صفحة 15)

وعليه فقد كانت مسألة اختيار المناهج أو الأدوات المناسبة في تعميم نتائج البحث محل جدل ونقاش الدارسين المختصين كل حسب تخصصه، والجدير بالذكر أن هذه المسألة لا زات حتى يومنا هذا اذا ما تعلق الأمر خاصة بالبحوث الكيفية؛

لكن وبالرجوع إلى مجال موضوعنا آلا وهي البحوث الأكاديمية، فإن اشكالية اختيار الأدوات المناسبة في البحث لا تتعلق بمستوى التعميم أو التنبؤ؛ وإنما تتعلق بمدى مواءمة الأداة أو الأدوات التي يختارها الباحث مع متطلبات الحقائق التي يجب الحصول عليها، وسنعرض هنا أهم الأدوات المستخدمة في البحوث السوسيولوجية، لكن يجب الاشارة أولا على أن كل من تلك الأدوات لا تقل أهمية عن نظيرتها فقط حين تستخدم في الموضع المناسب.

3. أهم أدوات البحث السوسيولوجي وأهمية كل منها في البحوث:

1.3 الاستمارة أو الاستبيان:

تعتبر الاستمارة أكثر أدوات البحث استخداما في البحوث الاجتماعية الأكاديمية خاصة، وتعرف الاستمارة بأنها: مجموعة من الأسئلة والاستفسارات المتنوعة، مرتبطة ببعضها البعض بشكل يحقق هدف البحث في ضوء موضوع البحث والمشكلة التي اختارها.

ويتم تنفيذ الاستمارة إما عن طريق المقابلة الشخصية، أو أن ترسل إلى المبحوثين عن طريق البريد الالكتروني أو التقليدي، أو تملئ عن طريق الهاتف.

-أنواع الاستمارة حسب طبيعة الأسئلة: هناك ثلاث أنواع من الاستبيان بضوء طبيعة الأسئلة:

أ- الاستبيان المغلق: والذي تكون أسئلته محددة الاجابة: بنعم أو لا.

ب- الاستبيان المفتوح: وتكون أسئلته غير محددة الاجابة، فالإجابة متروكة بشكل مفتوح ومرن، كأن يكون السؤال: ما هي مقترحاتك بشأن تطوير الخدمة في المكتبة الجامعية.

ج – الاستبيان المغلق- المفتوح: في هذا النوع تحتاج بعض الأسئلة إلى إجابات محددة، والبعض الآخر إلى إجابات غير محددة، مثال ذلك : ما هو تقييمك لخدمات المكتبة الجامعية (سؤال مغلق): -جيدة – وسط – ضعيفة.

وإذا كانت الخدمات وسط أو ضعيفة فما هي مقترحاتك لتطويرها؟ (سؤال مفتوح). (قنديلجي، 2010، الصفحات 165-167)

كما يمكن أن تستخدم الاستمارة أنواع مختلفة من المقاييس مثل:

-المقياس الاسمي :Nominal مثلا ما نوع السيارة التي تقودها : مرسيدس، تويوتا، فورد.

-المقياس الرتبي :Ordinal مثلا يستخدم بعد كل جملة الاقتراحات التالية:

لا أوافق بشدة، لا أوافق ، غير متأكد، موافق، موافق بشدة

-مقياس الفترات :Interval ما عمرك؟ (21-26) (27-32) (33-38) (39-44)

- ترتيب الاستجابات: مثلا نطلب من المبحوثين ترتيب عناصر الاجابة حسب أهميتها (الضامن، 2009م، صفحة 93)

- أداة الاستمارة لماذا يفضلها الطلبة الباحثين؟ هل هي الأفضل بين الأدوات؟

على الرغم من أن الباحثين غالبا ما يفضلون استخدام هذه التقنية في بحوثهم الأكاديمية، وقد يكون ذلك نسبة للإيجابيات التي تتمتع بها الاستمارة دون غيرها من الأدوات خاصة أنها قليلة التكلفة من حيث الوقت والجهد، كما أنها تتميز بسرعة التنفيذ خاصة بالنسبة للطلبة الباحثين الذي يرتبط بحثهم بزمن محدد، كما أن الاستمارة أن تسجل بعص السلوكات غير الملاحظة من قبل الباحث، كما أنها توفر امكانية المقارنة بين الاجابات بسهولة، والأكثر أهمية كونها تطبق على عدد كبير من المبحوثين، ومن ثم فهي مناسبة للبحوث الكمية أكثر منها البحوث الكيفية.

-سلبيات اعتماد الاستمارة كأداة أساسية في البحث :

لكن رغم هذه الاجابات التي تتمتع بها الاستمارة فإن لها سلبيات كبيرة جدا وأحيانا تؤثر بشكل خطر على حقائق المعلومات وقد قدم موريس أنجرس أهم السلبيات التي تؤثر على جودة هذه الأداة في الحصول على البيانات وهي كالتالي :

-التزييف الإرادي للأقوال: قد يحدث أن تؤدي بعض الدوافع لدى المبحوثين إلى التصريح بأقوال مزيفة وغير صحيحة، وأول هذه الدوافع هو محاولة إعطاء صورة إيجابية عن أنفسهم، أو إخفاء ما يظهر لهذا المخبر أنه غير مقبول؛ إذا يمكن أن يتعلق الأمر بسلوك منحرف أو القيام بممارسات غير تلك التي تليها واجبات الأفراد تجاه المجتمع، حيث يمكن للمخبر أن يخفي شذوذه الجنسي أو إهماله لصحته . أما الدافع الثالث فيمكن أن يكون استراتيجيا، انه الدافع الذي يجعل المبحوث يفكر أنه إذا أجاب في اتجاه دون آخر، فهذا سيكون له انعكاسات على الإجراءات التي ستتخذ بعد نهاية البحث، مثلا: ميل المبحوث إلى المبالغة في تسويد الوضعية ظنا منه أن ذلك سيؤدي إلى القيام بإصلاحات في أقرب الآجال .

-عجز بعض المبحوثين: فالأمر لا يقتضي معرفة الكتابة والفهم الصحيح للأسئلة، كما يجب أن يكون متعود على الاجابة فعلا، خاصة إذا كانت العبارات ليست متداولة في الحياة اليومية أو لأنها اخذ معنى يختلف حسب اللغة الأصلية الأصل الاجتماعي، أو الجهة أو الجيل الذي ينتمي إليه كل واحد .

-الايجابات مختصرة وموجزة: إن المعلومات المتحصل عليها عن طريق الاستمارة هي مختصرة / وموجزة، لأن المخبر يعطي المعلومات الأولى التي تتبادر إلى ذهنه ويتقلص تفكيره إلى الحد الأدنى؛ وبالتالي مفعولها يتقلص خاصة بالنسبة للأسئلة متعلقة بالوقائع الدقيقة والمعروفة لدى المبحوثين .

-رفض الإجابة: يتردد الكثير من المبحوثين في الاجابة على الأسئلة خاصة في حال انتشر استخدامها بين السكان، فبعضهم يري في ذلك تدخل في حياتهم الخاصة أو أنه مجرد تضيعه الوقت والمال . (أنجرس، 2006، الصفحات 209-210)

على الرغم من أننا لم نطرح كل شيء يتعلق باستخدام الاستمارة وأسس استخدامها الجيد، غير أننا نود نطرح قضية أهم هنا: هل فعلا الطلبة الباحثين مقتنعين من صدق هذه الأداة في بحوثهم العلمية؟ ولماذا يفضل الطلبة استخدام هذه الأداة؟ هل لأنها أداة سهلة الاستخدام؟ أم لأن الطلبة ليس لديهم الجرأة والمعرفة الكافية لتطبيق أدوات أخرى للبحث؟

وعلى الرغم من أن الكثير من الدراسات حسب اطلاعنا لا تناسبها أداة الاستمارة لكنها تستخدمها كأداة أساسية وكثير منها دراسات ما بعد التدرج ودراسات عليا، وهذا إن دل فإنه يدل على أن العديد من الباحثين لا يدركون أهمية أدوات البحث السوسيولوجي الأخرى أكثر مناسبة في البحوث السوسيولوجية الكيفية خاصة وكيفية توظيفها، لعدة أسباب قد تعود للنقص معرفي أو لانعدام الممارسة أو الخبرة، أو الاخفاق في الاختيار الأمثل للأداة .

فمثلا يعتقد الكثير من الطلبة تخصص تنظيم وعمل مثلا أنه ليس بإمكانهم الاستغناء عن الاستمارة، في حين أن العديد من المواضيع تتطلب منهم استخدام أداة المقابلة كأداة رسمية: كأن يكون مثلا المواضيع التي تتعلق بالتخطيط الاستراتيجي أو إدارة الموارد.

كما يعتقد بعض الباحثين أنه ليس بالإمكان الإعتماد على الملاحظة كأداة أساسية في البحث: لكن يمكن أن يكون ذلك ممكنا في البحوث أو المواضيع التي تتطلب وصف لبيئة العمل، أو ظروف العمل في مؤسسة انتاجية ما أو مؤسسة استشفائية مثلا ، شريطة أن تكون ملاحظة مخفية أو مستترة .

ويصرح العديد من الباحثين الخاصة الطلبة في الأطوار الجامعية الأولى أن تجنبهم استخدام الأدوات أخرى للبحث السوسيولوجي كالمقابلة، والملاحظة، ودراسة الحالة، وتحليل المضمون، هو عدم قدرتهم التحكم في هذه الأداة سواء من حيث التصميم، أو من حيث التبويب المعلومات، أو من حيث التحليل تلك المعلومات.

وسنكمل عرض أهم أدوات البحث السوسيولوجي استخداما، خاصة في الدراسات الكيفية وهي:

2.3المقابلة البحثية:

- **مفهوم المقابلة:** تعد المقابلة واحدة من طرق جمع المعلومات، ويمكن تعريفها على أنها المحادثة المنتظمة بين اثنين السائل والمستجيب، بقصد الحصول على معلومات معينة لها علاقة بالحالة والموضوع المراد دراسته. (الضامن، 2009م، صفحة 98)

كما يعرف موريس أنجرس مقابلة البحث بأنها: تقنية مباشرة تستعمل من أجل مساءلة الأفراد بكيفية منعزلة؛ لكن أيضا وفي بعض الحالات مساءلة جماعية بطريقة نصف موجهة وتسمح بأخذ معلومات كيفية بهدف التعرف العميق على الأشخاص المبحوثين.

وتعتبر المقابلة من أفضل التقنيات لكل من يريد استكشاف الأسباب المشتركة لسلوكهم من خلال خصوصية كل حالة.

كما أنها أداة تسعى لتلبي حاجيات الباحث بهدف إثارة رد فعل واحد أو أكثر من طرف المبحوثين، ثم إقامة تحليلا كيفيا يهدف إلى تجاوز الحالات الخاصة واستنتاج سمات مشتركة إن أمكن ذلك. (أنجرس، 2006، صفحة 197)

-**وللمقابلة عدة أنواع كل يصنفها حسب خاصية استعمالها**، فهناك من يصنف المقابلات من حيث طبيعة الأسئلة إلى: (مقابلة مفتوحة غير مقننة، مقابلة نصف موجهة، ومقابلة موجهة وفي كل حالة حسب الترتيب تقل حرية إجابة المبحوث؛ أما التصنيف الثاني وهو حسب المستجوبين إلى مقابلة شخصية؛ ومقابلة جماعية؛ ...) كما يمكن إجراء المقابلة عن طريق الشخص المباشر أو عن طريق الهاتف، أو عن طريق تكنولوجيا الاتصال الرقمي) (عليان، دون ذكر سنة النشر، الصفحات 107-110) ربيحي مصطفى عليان البحث العلمي أسسه، أساليبه، اجراءاته .

-أهمية المقابلة في البحوث السوسيولوجية الوصفية الكيفية:

قبل أن نجيب على هذا السؤال، يجب أن نبين أهمية المقابلة في الحالات التالية عندما يكون المفحوصون أطفالا أو أشخاصا لا يعرفون القراءة والكتابة؛ عندما يكون المفحوصون من كبار السن أو العجزة أو المعاقين أو المرضى؛ حينما لا يرغب المفحوصون في إعطاء آرائهم ومعلوماتهم كتابة؛ حينما يتطلب موضوع الدراسة اطلاع الباحث بنفسه على الظاهرة وعلى مجتمع الدراسة؛ حينما يتطلب الموضوع جمع المعلومات من عدد من الأفراد يعيشون أو يعملون معا كالعمال في المصانع، أو المعلمين في المدارس مثلا؛ حينما يكون الهدف الحصول على وصف كيفي للواقع وليس بيانات كمية أو رقمية؛ حينما يتطلب الحصول على المعلومات وجود علاقات شخصية مع المفحوصين؛ حينما يشعر الباحث بأن المفحوصين بحاجة إلى من يشعرهم بأهميتهم ويقدرهم، كأن تقابل مدير مؤسسة لا ترسل له استمارة. (عليان، دون ذكر سنة النشر، صفحة 108)

يتضح مما سبق أن المقابلة لها مزايا بحثية مميزة في تعاملها مع كافة الفئات الاجتماعية، وكذا في كونها أداة بحثية تعطينا معلومات كيفية حول الموضوع بامتياز.

لكن الأهم ليس هنا فقط ! لكن الأهم من هذا هو متى يستخدم الطلبة المقابلة في دراساتهم وكيف تصبح المقابلة أداة أساسية في البحوث السوسيولوجية؟

يجب أن يدرك الباحثين نقطة مهمة؛ وهي عند الوصول إلى مرحلة انتقاء أدوات البحث أن ينطلقوا من خط أساسي وهو: ما هو الهدف من هذه الدراسة؟ فمعرفة أهداف البحث أو الدراسة تساعد بشكل كبير في اخيار أداة البحث المناسبة؛

فإذا كانت أهداف البحث تركز على الكيفية أو الطريقة التي يؤثر بها متغير عن متغير آخر، الأثار الاجتماعية التي يخلفها متغير عن علاقة ما أو أشخاص مثلا...؛ أو أن يكون الهدف من الدراسة هو وصف كيفي للموضوع داخل مؤسسة ما أو مجتمع ما، أو جماعة ما، أو أشخاص معينين.... إلخ.

في هذه الحالات على الباحث أن يدرك أن الأداة الأساسية لبحثه هي المقابلة، وليس هناك مانع في أن يستعين الباحث في هذه الحالات بأداة الاستمارة أو الملاحظة مثلا كأدوات مكملة للبحث.

أما الجانب الثاني من استخدام المقابلة في البحث هو كيفية تبويب وتحليل بيانات المقابلة؟ فأكثر ما يربك الطلبة الباحثين في استخدام أداة المقابلة هو كيفية تبويب البيانات وتحليلها؟

لكن الاجابة سوف تكون بسيطة جدا إذا ما تمكن الطالب من تصميم دليل جيد للمقابلة، سواء كان موجه، أو نصف موجه، أو حر، فإن استخدام الباحث للأسئلة بشكل جيد وامكانية حصوله على اجابات معمقة من المبحوثين سوف تمكنه من تبويب تلك الاجابات بطريقة سهلة جدا؛

- الطرق المنهجية لتبويب بيانات المقابلة:

يقوم الباحث بعرض الفرضيات إذا وجدت؛ وان لم يعتمد الباحث على فرضيات يقوم بعرض الأسئلة الفرعية التي اعتمدها في دراسته؛ ومن ثم يقوم بعرض اجابات المبحوثين حسب طبيعة كل سؤال بالترتيب أو حسب الأبعاد التي تخدم الفرضية بالترتيب فرضية تلوى فرضية؛ لكن يجب أن ينتبه لترميز المقابلات في هذه الحالة.

كما يمكن الاستعانة ببعض الأساليب الاحصائية كالنسبة المئوية للإجابات المتشابهة أو المتوسط الحسابي لتشابه الاجابات؛ وهكذا يفعل مع كل تساؤل فرعي أو فرضية فرعية.

بعدها يقوم بتحليل ما ورد في كل الاجابات إذا كانت هناك عدة مقابلات كل فرضية أو تساؤل على حدى، ثم يستخلص بعدها نتائج تلك الاجابات الخاصة بكل فرضية أو بكل تساؤل على حدى.

3. 3 الملاحظة:

-**التعريف بالملاحظة:** نستطيع أن نعرف أسلوب الملاحظة في البحث العلمي بأنها المشاهدة والمراقبة الدقيقة السلوك أو ظاهرة معينة، وتسجيل الملاحظات أولا بأول، كذلك الاستعانة بأساليب الدراسة المناسبة لطبيعة ذلك السلوك أو تلك الظاهرة بغية تحقيق أفضل النتائج، والحصول على أدق المعلومات.

وتستخدم طريقة الملاحظة عادة لتلك المظاهر من السلوك التي لا تسهل دراستها بالوسائل الأخرى، وتؤدى الملاحظة دور أساسي في الحصول على معلومات عن السلوك في المواقف الطبيعية، مثال ذلك سلوك الأطفال أثناء اللعب أو الأكل، أو عن نمط ودرجة التفاعل الاجتماعي بين المجموعات البشرية المختلفة . (قنديلجي، 2010، صفحة 186)

وتستخدم الملاحظة عامة في إطار البحوث النوعية الوصفية، وقد تكون أداة أساسية في ذات البحوث، ويمكن أن تكون أداة ثانوية في بحوث سوسيولوجية عدة.

-وتتميز الملاحظة عن غيرها من أدوات البحث بأنها تفيد في جمع بيانات تتصل بسلوك الأفراد الفعلي فور وقوعه في بعض المواقف الواقعية في الحياة بحيث يمكن ملاحظتها دون عناء كبير أو التي يمكن تكرارها بدون جهد.

غيرأن أداة الملاحظة تواجه بعض الانتقادات وخاصة في البحوث النوعية منها، كغيرها من الأدوات ؛ هو مدى مصداقيتها والذي ترتبط بالعناصر التالية :

-1 الملاحظ ينتبه بشكل أكثر إلى ما يتلاءم مع توقعاته واهتمامته، وبالتالي فإن هذه انتقائية بحد ذاتها، وكل ما يؤثر فيما يلاحظه الملاحظ.

-2 التوقعات المسبقة عن الأحداث تؤثر على كيفية تسجيلها وترميزها وقد لا تعطي الصورة حقيقة الحدث أو الشئ الملاحظ.

-3 قد يهمل الباحث المواقف والأشياء التي لا ينتبه إليها الفرد ولا يرمزها، سوف لا يتذكرها .

4- يمكن لاختلاط الملاحظ وتفاعله، مع أفراد الجماعة المشاركة الني يقوم بدراستها . هؤلاء قد يقودونه إلى التحيز، خصوصا إذا ما أصبح يرى الأحداث من زاوية وجهات نظرهم هم، والتي قد لا تكون تحدث في الجماعة. (قنديلجي، 2010، صفحة 195)

ولهذا يشترط في القائم بالملاحظة أن يتسم بالملاحظة العلمية الدقيقة والموضوعية للأحداث، وأن يكون متمرن عليها بشكل جيد خاصة إذا استخدمها الباحث كأداة أساسية في دراسته.

-الطرق المنهجية لبناء إطار الملاحظة:

تواجد الباحث في المكان المراد ملاحظته سيجعله يلاحظ أشياء كثيرة ومتنوعة قد يكون الكثير منها خارج نطاق البحث، لكن اذا استعان الباحث بإطار الملاحظة سوف يسمح له بفرز ما يستحق فعلا ملاحظتنا من جملة الأشياء الكثيرة الأخرى، ويبنى هذا الاطار انطلاقا من المعطيات المشكلة المطروحة للدراسة فهو متضمنا حتما بالمفاهيم والأبعاد والمؤشرات المتولدة من عملية التحليل المفاهيمي للدراسة. كما يجب أن يصور محتواه بطريقة صحيحة وجيدة (أنجرس، 2006، صفحة 234).

1-بناء شبكة أو دفتر المشاهدات:

إذا كنا في حاجة إلى أداة دقيقة جدا بمعنى أنها قليلة الليونة، مثلما هو الشأن عندما نريد قياس الظواهر، فنقوم بإعداد شبكة الملاحظة تتضمن أبعاد الظاهرة ونقسم تلك الأبعاد إلى مؤشرات تلاحظ وتدون ويمكن أن يكون ذلك وفق درجات.

غير أن تسجيل هذه المشاهدات يكون بطريقة منتظمة كما سبق وذكرنا في اطار الملاحظة على حسب متطلبات اشكالية البحث، والتي تتحدد في مجموعة من الأبعاد القابلة للملاحظة. أنظر (موريس أنجرس 240-241)؛ وتعتبر هذه المرحلة بمثابة تبويب

للمعلومات أو البيانات، ثم يقوم الباحث بعرضها انطلاقا من الأبعاد أو المؤشرات التي اعتمدها عند كل تساؤل فرعي أو فرضية وبالترتيب .

بعدها يحلل تلك المعطيات بالطريقة التي تتناسب وبحثه، وغالبا ما يكون التحليل هنا وصفي كيفي أو نوعي.

4.3 دراسة الحالة:

دراسة الحالة case study :هي دراسة شاملة وعميقة للفرد أو مجموعة من الأفراد، إنها أكثر أنواع البحث شعبية. وهدفها يمكن أن يكون فهم الوحدة أو الظاهرة المدروسة، أو التفاعل بين عوامل متعددة توضح الواقع الحالي أو التطور الذي يحصل في فترة معينة ومن الأمثلة على دراسة الحالة الدراسات الأنثربولوجية والاجتماعية، ودراسة الريف والبادية والحضر، دراسة العمال الذين يشاركون في إدارة المؤسسات، ودراسة المرأة العاملة، وجنوح الأحداث؛ ودراسة اللاجئين من دول أخرى وغيرها. (الضامن ، 2009م ، صفحة 108)

وبغض النظر عن ما إذا كانت دراسة الحالة أداة أو منهج، فإن اعتمادها في البحوث الاجتماعية كأداة يهدف إلى إعطاء صورة كلية شاملة لدراسة ظاهرة معينة في مجتمع محدد؛ ويستخدم منهج دراسة الحالة في الظروف التالية :

-دراسة تفصيلية للحالة وما يؤثر فيها من عادات وتقاليد وقيم وأفكار واتجاهات .

-عند دراسة التاريخ التطوري لشخص أو موقف معين.

-التعرف على العوامل النفسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية المتداخلة والمؤثرة في الحالة. (فاروق أحمد مصطفى، و محمد عباس إبراهيم، 2010، الصفحات 110-111)

-أهمية دراسة الحالة في الدراسات السوسيولوجية الكيفية:

دراسة الحالة يمكن استخدامها في البحوث السوسيو-اقتصادية أو مجال علم الاجتماع العمل والتنظيم، علم الاجتماع الصناعي، البحوث الاقتصادية، البحوث التربوي، ودراسات علم الاجتماع الجريمة، .....فهي تصلح لكل تخصصات العلوم الاجتماعية؛ كأن يختار الباحث مؤسسة كحالة مثلا عن الإفلاس، أو يختار حالات عن الأمراض المهنية، أو حوادث العمل، أو أن يختار حالات لارتكاب الجرائم أو الاعتداءات ....حالات الرسوب المدرسي، .....

- الفرق بين دراسة الحالة كمنهج، ودراسة الحالة دراسة الحالة كأداة:

الاجابة على هذا السؤال تتعلق بالموضوع والحالة نفسها فإذا درسنا المؤسسة كحالة فالأمر يتطلب استخدام أدوات عدة لتغطية هذه الحالة: كالمقابلة الحرة، الملاحظة، الاستمارة، سجلات، وثائق... هنا تصبح الحالة منهج.

أما اذا كان التعامل مع الحالات الفردية في دراسة ما تبحث عن معرفة عوامل أو تأثير متغير على أخر لدى مجموعة من الأشخاص تصبح الحالة هنا أداة.

-الطريقة المنهجية لعرض وتبويب وتحليل المعلومات المتحصل عليها من الحالات:

حيث أن عرض وتبويب وتحليل المعلومات المتحصل عليها من الحالات لا تختلف كثيرا عن طريقة التي تطرقنا إليها في كيفية تبويب وعرض مقابلات الدراسة، لكن يفضل في دراسة الحالة عرض كل حالة على حدى، بعدها تتم عملية تبوب المعلومات انطلاقا من أبعاد التساؤلات الفرعية وفرضيات الدراسة بالترتيب.

5.3 المصادر والوثائق:

وهي أدوات مهمة في جمع المعلومات في البحث العلمي، وتختلف طبيعة المصادر والوثائق وما تحويه من معلومات منها: (الكتب، الدراسات والمقالات المنشورة في الدوريات، التقارير السنوية والفصلية أو الدورية بمختلف أنواعها، براءة الاختراع، الوثائق الجارية أو الأرشيف الجاري، الوثائق التاريخية، وكل هذه الوثائق تختلف هي

الأخرى إلى وثائق مطبوعة ورقية، أو وثائق سمعية وبصرية أو عبارة على مصادر إلكترونية، أو أقراص المدمجة. المخطوطات، المذكرات واليوميات المسجلة بواسطة شخصيات عاصرت الأحداث والأمور التي يكتبون عنها ويوثقونها.

وتختلف أهمية الوثائق والمصادر إلى :

-وثائق ومصادر أولية: وهي المصادر التي دونت وسجلت بياناتها ومعلوماتها بشكل مباشر، بواسطة الشخص أو الجهة المعنية بجمع تلك المعلومات ونشرها، تكون معلوماتها أقرب إلى الصحة والدقة، مثل البيانات والمعلومات الصادرة عن دوائر الاحصاء الرسمية المسؤولة عن حركة السكان وتعدادهم وتوزيعهم الجغرافي والمهني والاجتماعي والاقتصادي. (قنديلجي، 2010، الصفحات 158-160)

-المصادر والوثائق الثانوية: وهي المصادر التي تنقل معلوماتها عادة عن المصادر الأولية بشكل مباشر أو غير مباشر، وهي منقولة أو مترجمة عبر مصدر ثاني أو ثالث آخر، وغالبا ما تكون أقل دقة من المصادر الأولية. (قنديلجي، 2010، صفحة 162)

-أهمية المصادر والوثائق في اثراء معلومات البحث:

يجمع الباحث المصادر والوثائق بأشكالها المختلفة التي تهتم ببحثه أو موضوعه، بعدها يتم فرز ما يحتاجه منها، وبعد أن يقوم بتسجيل المعلومات المستلمة منها، يبدأ بتحليل تلك المعلومات وايداء الملاحظات المطلوبة عليها. حيث يقوم الباحث بتفسير المعلومات والأرقام والحوادث الواردة فيها وفهمها فهما صحيحا، انطلاقا من التساؤلات أو الفروض التي اعتمدها الباحث.

وهي غالبا تعتبر أدوات مكملة في البحوث الاجتماعية كأن نستشهد ببعض الأرقام عن تقارير ما وطنية أو دولية، أو الاستشهاد بأقوال أشخاص صلب الموضوع، وهذا لا يعني أنها لن تكون أداة أساسية، فغرارا عن الدراسات التاريخية، يمكن للسجلات والوثائق أن تكون أدوات أساسية، إذا ما تعلق الأمر بالدراسات علم الاجتماع

القانون أو الدراسات الجريمة وما يتعلق بالأمن ....فإن الاعتماد على مثل هذه الأدوات يكون ضروري إن لم يكن أساسيا.

6.3 الاستعانة بالإخباريين:

وتعني الاستعانة ببعض المرشدين أو بعض الاخباريين الذين يكونون في العادة من السكان الأصليين لمجتمع الدراسة ويقومون بدور أساسي، يتمثل في تقديم المجتمع للباحث خاصة الباحثين الأنثربولوجيين في دراستهم الحقلية في الاستعانة بعدد من الأشخاص الذين يشتغلون مراكز وأوضاع أساسية في مختلف قطاعات البناء الاجتماعي؛ ويفترض أن يكون لدى الباحث الأنثربولوجي بصفة دائمة إخباري أساسي بحيث يعتبره معاونا أساسيا في الدراسة. (مصطفى ، 2007، صفحة 54)

-كما يمكن أن نعرفهم بأنهم مصادر بشرية مثل الخبراء وشهود العيان؛ "فالإخباريون هم الأشخاص العارفون بالقضية أو الموضوع أو الحدث موضوع البحث". (معن، 2004، صفحة 20)

ويساعد الاخباريين في إثراء المعلومات عن مجال الدراسة وكذا إثراء بالمعلومات الكيفية والنوعية حول موضوع الدراسة، خاصة إذا تعلق الأمر بالدراسات الثقافية، والتاريخية، والتربوية....وغيرها.

7.3 تقنية تحليل المضمون:

تحليل المضمون هو تقنية غير مباشرة للتقصي العلمي تطبق على المواد المكتوبة، المسموعة أو المرئية، والتي تصدر عن الأفراد أو الجماعات، حيث يكون المحتوى غير عددي، وقد يكون المحتوى حالي أو أُنتج في الماضي، ويسمح بالقيام بسحب كيفي أو كمي بهدف التفسير والفهم والمقارنة؛ كما تسمح بتسليط الضوء عن حادثة أو فعل فردي أو جماعي توجد حوله آثار مكتوبة.

وهي أداة يستخدمها كل من المؤرخين، علماء الاجتماع وعلماء السياسة وعلماء النفس المهتمين بدراسة الثقافات الأجنبية ووسائل الإعلام بصفة خاصة (الآداب، الكتب

المدرسية، المسلسلات التلفزيونية، حصص الأطفال، الوسائل الاشهارية، القصص والأغاني...)، كما تهتم بدراسة الإيديولوجيات وأشكال التصورات لدى الأفراد والتنظيمات. (أنجرس، 2006، صفحة 218)

وتختلف طرق تحليل المضمون حسب التخصصات التي ينتمي إليها الباحثين فقد تختلف طريقته نوعا من في علوم الاتصال عن التاريخ، وعنها في علم الاجتماع، كما يختلق تصميمها حسب طبيعة الموضوع ذاته، فالباحث يختار العبارات التي يركز عليها بحثه وينطلق من خلالها في تحيل لذلك المضمون في شكل فئات اسمية أو نوعية أو رقمية أو رتبية....إلخ.

4. خاتمة:

منهجية البحث العلمي هي المحرك العلمي للعلوم الاجتماعية فبفضلها، استقلت العلوم الاجتماعية عن الفلسفة، ولا تزال منهجية العلوم الاجتماعية تعرف تطورا في استخدام المناهج والأدوات المناسبة لإعطاء مرجعية علمية لمختلف الدراسات، وتبقى أدوات البحث التقنيات التي من خلالها نتمكن من تفعيل مناهج عن غيرها في دراسة مواضيع ما، واذا ما خصصنا الحديث عن الدراسات السوسيولوجية الوصفية الكيفية والتحليلية فإن الطالب المقبل على التخرج في حين اختياره للمنهج المناسب للدراسة يتوفر أمامه العديد من الأدوات المناسبة للدراسات الكيفية هي كالتالي: (كالاستمارة، المقابلة، دراسة الحالة، الملاحظة، الاعتماد على السجلات والوثائق، الاخباريين...،)

فعملية تسيير البحث مرهون بنوع الأداة أو الأدوات التي أختيرت للبحث، ما إذ كانت مناسبة أم لا؟ من عدة جوانب : الجهد، الوقت، توفر المعلومة، دقة المعلومة، امكانية الحصول على نتائج مرضية للدراسة.

كما يمكن في الكثير من الدراسات أن يعتمد الطالب على أكثر من أداة في نفس الدراسة، فهي تساهم بشكل ايجابي في الحصول على المعلومات الدقيقة والموضوعية التي تخدم نتائج البحث.

قائمة المراجع:

1. خليل عمر معن . (2004). **مناهج البحث في علم الاجتماع**. عمان، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.

2. ربيحي مصطفى عليان. (دون ذكر سنة النشر). **البحث العلمي أسسه**، مناهجه وأساتليبه واجراءاته. عمان، ، الأردن: بيت الأفكار الدولية.

3. عامر قنديلجي. (2010). **البحث العلمي**، واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والالكترونية. تأليف ط 2 (المحرر). عمان، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

4. عمر حمادة مصطفى . (2007). **علم الانسان مدخل لدراسة المجتمع والثقافة**. الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية.

5. فاروق أحمد مصطفى، ، و محمد عباس إبراهيم. (2010). **المناهج الأنثربولوجية وتطبيقاتها الميدانية**. الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية.

6. مادلان غراويتز. (1993). **مناهج العلوم الاجتماعية منطق البحث في العلوم الاجتماعية**. دمشق ، دمشق، سوريا: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر.

7. منذر الضامن . (2009م). **أساسيات البحث العلمي**. عمان، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

8. موريس أنجرس. (2006). **منهجية البحث العلمي في اللوم الإنسانية، تدريبات عملية**، 2004-2006. تأليف تدريبات عملية (بوزيد صحراوي، و وآخرون، المترجمون). الجزائر: دار القصبة للنشر.

EISSN: 2602-781X————————ISSN: 2253-0347